جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

# العلاج بالفن: اضطراب طيف التوحد

# Art Therapy: Autism Pectrum Disorder (ASD)

بحث إعداد

**أ.د / مصطفي محمد عبد العزيز**
أستاذ علم النفس ، ومادة تحليل التعبير الفنى
لفنون الأطفال والبالغين (المتفرغ)
كلية التربية الفنية – جامعة حلوان

**أ .د / عفاف أحمد محمد فراج**
أستاذ علم نفس التربية الفنية (المتفرغ)
كلية التربية الفنية
جامعة حلوان

**مقدمة**:

هذا البحث يركز على جهود الباحثة Zara Patterson والباحثــة Zara Patterson تعمل في الخدمة العامة لحالات الانطواء على النفس والتي قاعدة مصادرها ترتبط بالمدارس الابتدائية والثانوية. بما يسمح لــ Zara Patterson أن تركز على المادة العلاجية بتفصيلاتها والصور التي بسرد القصة العلاجيــة "الولــد" The images That Tell the Movung "Thepaputic Story of " The Boy. والباحثة تحترم رغبة الولد في أن يعــرف عنــه القارئ "ماذا هو؟" (ما الذي يمكنه فعله) وليس "من هو؟" (مجرد تعريف بحت له). وأســلوب الكتابة المباشر يُبقي على الأثر النفسي الذي يحدثه هذا العمل العلاجي وما هو مفــروض أن يكون عليه "الولد". فمعاناته مُعبر عنها ومشاركة في عالم "كُمــة الــرأس" beanie World. وبدخول هذا العالم، تعمل الباحثة على إحياء العملية العلاجية على مدى أربعة سنوات مع ولد صغير كان توأم لشقيق آخر ويعاني صعوبات في الكلام واللغة والانتباه وفي التحكم الحركي له والإدراك "DAMP". أسباب إلحاقه العلاج النفسي سلوكه عالي التوتر الــذي يصــاحبه سلوك دفاعي ، يمنعانه من التعلم بشكل طبيعي. وتُبين الباحثة كيف أن التحولات داخل عالمه الداخلي سمحت للعب والحوار والمحاكاة والفكاهة أن يتطوروا في علاقاتهم مما ســمح لهــا بمساعدة عملية انتقاله الصعبة إلى المدرسة الثانوية.

بدأت Zara Patterson حياتها المهنية كمُدرسة للفنون ومُعلمة في المــدارس وفــي خدمة الصحة القومية في إنجلترا وفي الخدمات الاجتماعية. ومن هذا العمــل مــع العمــلاء المختلفين تخصصت في العمل على مدى ١٤ عاماً في الخدمة العامة للأطفال الانطوائيــون. في البداية قامت بالتدريس وإدارة إحدى قواعد المصادر ثم اتجهت إلى العمل كمُعالجة بــالفن بعد تأهيلها في عام ١٩٩٥، أصبحت عضوة في لجان عمل كثيرة وتبــوأت منصــب مــدير الخدمات Service Manage قبل تقاعدها عن العمل.

**تمهيد :**

تقول Zara Patterson : في فترة عملي على مدى سنوات في خدمة حالات الانطواء على النفس المرضية (Autism)، حصلت على ميزة وفرصة العمل مع عدد كبير من الشباب الصغار من سن المرحلة الابتدائية حتى مرحلة المراهقة وما بعدها. على الرغم أنه يوجد تشابها في الصعوبات التي يُعانوا منها، إلا أن كل فرد منهم يُعاني "حالة اضطراب طيف التوحد" [ASD] له شخصية مختلفة ومتفردة عن غيره.

إن خدمة حالات الانطواء على النفس المرضية تملك قواعد من مصادر البيانات موجودة في المدارس الابتدائية والثانوية التي تقدمها. كما أن هذه الخدمة المحلية لديها فريق من المتخصصين في هذا المجال يقدمون النصح والإرشاد للأطفال والشباب في المدارس. والطلاب الذين يحضرون جلساتهم هم هؤلاء الطلاب الذين في حاجة إلى جدول لقاءات مشورة علاجية وتدريس متخصص وتدخل علاجي مهني. ومع فريق العمل المتخصص يستطيع الطلاب أن يستفيدوا من قضاء الوقت مع أقرانهم في مناقشة موضوعات ممنهجة وموجهة أو لعمل مشاركات عمل خاصة. ومن خلال منهج تعليمي وبيئة حاضنة دافعة، تُقدِم قواعد مصادر هذه الخدمة الملاذ الآمن للطلاب.

من خلال العمل متعاونة مع مجموعة التدريس، يمتلك هذه الخدمة فريق من المُعالجين والذي يتكون من مُعالج بالفن وأخصائي حركة ورقص وأخصائي علاج بالموسيقى ومُعالج نفسي. فوجود فريق من المعالجين داخل بيئة تعليمية يمثل حالة نادرة جداً، لذلك يجب على الجميع العمل بكل جدية للحفاظ على هذا الوضع حتى تثبت أقدامه ويُقدم خدماته على أكمل وجه ممكن.

يقوم أحد المعالجين بعمل تقييم لكل الطلاب الجُدُد ويُستخدم هذا التقييم كمؤشر على تحديد الحاجة المُلحة للعلاج بالإضافة إلى أنه يُمكن المعالجين من المشاركة في مناقشة الحالة أمامهم مع مجموعة التدريس. والمعرفة والمنظور للمُعالج تُساهم في تكوين رؤية شاملة لكل جوانب نمو الطفل.

التحويل للعلاج ممكن أيضاً أن يحدث في أي مرحلة في حياة الطالب المدرسية، وممكن البدء في إجراءاته لأسباب مثل: التغيرات في سلوك الطالب والأزمات الأسرية

والقضايا التي تتعلق بالمراهقة. على سبيل المثال (Sexuality)، قضية الجنسية واضـــطراب الانطواء الطيفي والصعوبة في تكوين العلاقات.

في هذا البحث تقول "Zara Patterson"، سوف أصف عملية العلاج مع ولد صغير في فترة امتدت إلى أربعة أعوام دراسية. واخترت عدد من الجلسات الخاصة معه لأشرح من خلالها فترات رئيسية في حياة الطفل ونموه. وبادئة بالجلسة التمهيدية الأولى. سوف أصـــف خبرتي الأولى مع هذا الطفل وكيف شارك في عملية العلاج. وسأشير إلى بعض الموضوعات التي برزت في فترة العامين التاليين في أثناء استعداده للانتهاء من دراسة المرحلة الابتدائيـــة وانتقاله إلى المرحلة الثانوية. الجزء الأخير من هذا البحث سوف أتحدث فيه عن العلاج فـــي السنة الأولى لهذا الولد في المرحلة الثانوية بما في ذلك نهاية عملية العلاج له.

**ASD** هي حالة اضطراب في النمو والتي لا يمكن علاجها، وهي حالة تـــؤثر فـــي الطريقة يكون بها الفرد علاقاته مع الآخرين والبيئة التي يعيش فيها. ولكي يتحقق تشـــخيص حالة ASD لابد التأكد من احتلال "مثلث الضرر "Triad of Improvement"" لشخصـــية الفرد. ومناطق الصعوبة "The areas of Difficulty" تكون:

**التفاعل الاجتماعي Social Interaction**: في هذا الجانب يُعاني الشـــخص مـــن ضعف واضح في الاتصال الشعوري مع الآخرين.

**الاتصال الاجتماعي "Social Communication"**: يُعاني الشخص صعوبات في كل مناطق الاتصال، سواء اللفظي أو غير اللفظي بما في ذلك وضـــعية الاتصـــال ونغمـــة الصوت ولغة الجسم والتعبيرات الوجهية.

**التخيل Imagination**: يعاني الشخص ضعف في اللعب التخيلي واللعب مع غيـــره من الأشخاص وضعف في التبادل الوجداني الفكري.

هؤلاء الذين يُعانون حالة ASD ربما يواجهون صعوبات تعلم أخرى. فهم أيضاً ربما يُظهرون انجذاباً لأشياء معينة، وحساسية زائدة عن الحد نحو مثيرات معينة، الحاجـــة إلـــى المحافظة على المشابهة وبناء قدرة على ممارسة مهارات تجمع مُعينة وبناء ذاكرة قاعـــدتها جيدة.

في عام ١٩٤٣ كان Dr. Leo Kanner طبيب الأطفال الأمريكي أول من استخدم تعبير "انطوائي autistic" ليصف به نمط معين من الأطفال الذين يظهر في سلوكياتهم هذه التصرفات غير العادية. أيضاً كان Hans Asperger من الذين قدموا إسهامات في هذا المجال. فبتحديده لهؤلاء عند نهاية وظيفية أعلى في مقياس المدى الوظيفي مع ذكاء متوسط أو أعلى من المتوسط قليلاً، هم هؤلاء المصابون بحالة Asperger's Syndrome (AS)

تبقى أسئلة عديدة تحتاج لإجابة حول أسباب حالة ASD. في بريطانيا في الوقت الحاضر، تشير الإحصائيات النفسية إلى أن هناك ٥٣٥٠٠٠ شخص يُعانون مظاهر هذه الحالة. ربما تلعب الجينات الوراثية دوراً كبيراً لكنها ليست هي العامل الوحيد في ذلك. لقد سمحت تكنولوجيا تصوير المخ للباحثين دراسة تركيب ووظائف المخ وهناك دلائل على أنه ربما تكون هناك عديد من العوامل الفيزيقية تؤثر في نمو المخ وينتج عنها الانطواء على النفس، ويستمر الجدل أيضاً والخلاف حول التأثير البيئي المحتمل. إنه بدون إجابات محددة، فإن المناقشة حول المسببات والعلاج على هذا النحو تبقى مفتوحة النهاية، فلكل مجال مشارك في هذا الجدل له منظوره الخاص والبديل. فمن وجهة نظر العلاج النفسي للأطفال. على سبيل المثال، تعتبر Anne Alvarez (1992) أن المعسكرات المتقابلة قد اقتربت من بعضها كثيراً بل حدثت تداخلات عدة فيما بينها.

**الولد The Boy**: في فقرات هذا البحث تقول Zara Patterson : سوف أشير إلى الطالب في الحالة الدراسية التي أقدمها بـ "الولد"، وهذا هو طلبه عندما سمح لي أن أكتب عن عملي معه، ولم يرغب في أن أناديه في الكتابة باسم بديل حفاظاً على سرية المعلومات، حيث أنه تصلب الرأي خوفاً من أن يعرف القارئ حقائق عنه. في البداية طلب أن أناديه بـ "ولد الاثني عشر عاماً" لكن في أثناء المناقشة طلب اختصاره إلى "الولد". بالنسبة لـ "الولد" كان المهم بالنسبة له أن يعرف القارئ ما هي حالته وأسبابها وليس من هو كشخص هذا الولد ذو وجه جذاب وله شعر أشقر وعينان زرقاوتان ولون بشرته أصفر شاحب عليه نمشي، وقوامه عادي وليس طويلاً، يعيش الولد في منزل أسرته مع والديه الموظفين وله شقيقين، أحدهما توأمه ولا يتشابه معه بشكل متطابق، والأخ الثاني أكبر منه بعامين.

**التحويل للعلاج Referral :**

تم تحويل الولد إلى العلاج بالفن عندما كان يبلغ من العمر سبع سنوات بواسطة مدرسة بسبب سلوكه المتوتر. وفي ذلك الوقت كان الولد يهتم كثيراً بهؤلاء الأطفال الذين يحضرون لقاءات خدمة الانطواء النفسي كونهم من وجهة نظره أكثر انطواءاً على النفس منه هو. وهذا التوتر أثار لديه الحاجة إلى جمع معلومات واقعية عن نفسه والآخرين من وجهة نظر من حوله، وبدوره ومع ذلك هذه الاستجابة السلوكية الدفاعية كانت تقف حائلاً أمام أي احتمالية لتعلمه.

هذا الولد عاش خبرة قاسية عند ميلاده كتوأم ثاني وقضاؤه بعض الأيام تحت الرعاية الخاصة في حين شقيقه التوأم عاد مع أمه إلى المنزل.

عند ميلاده كان مازال طفلاً رضيعاً مضطرباً ولم يكن يحرك أطرافه بعد ميلاده. كان يستجيب جيداً إلى التشجيع الضاغط لبناء حركاته الجسمية وعند سن ستة أشهر بدأ الجلوس وبدأ المشي عندما أكمل السنة الأولى من عمره. كانت هناك مقارنة دائمة مع توأمه الذي كان نموه أسرع منه في كافة الجوانب. في سن الحضانة كان يعاني بعض صعوبات الانفصال ومنذ ذلك الحين تنقل بين عدة منشآت تعليمية. كان يعاني حركة فم ضعيفة وتحكم ضعيف في اللسان، ومن هنا صعوبة في إخراج الأصوات الكلامية بشكل صحيح. في البداية حضر جلسات تخاطب مع أخصائيون في هذا المجال.

وبعد ذلك ظل لمدة عامين غير مستقر دراسياً. وفي المدرسة حيث لم تكن احتياجاته مفهومة من جانب مجموعة العمل في المدرسة كونهم غير متخصصين في فهم هذه الحالات. لُوحِظَ أن سلوكياته هوجاء وخطيرة في توجهاتها ومن السهل إثارته ويبدو دائماً شارد الذهن ولا يقدر على الإبقاء في حالة تركيز واستقرار شعوري. أشار التشخيص النهائي له عندما كان يبلغ سبع سنوات واصفاً سلوكياته على طيف الانطواء على النفس، مع معاناته صعوبات في الانتباه والتحكم في الحركة والإدراك "DAMP". وفي النهاية تم إلحاقه بقاعدة المصادر العلاجية لخدمة الانطواء على النفس في ذلك الوقت.

**الجلسة العلاجية الأولى The First Session :**

تقول Zara Patterson دخل الولد الغرفة الصغيرة مقر عملي وكان الفراغ المحـــيط مليء بالحركة والأسئلة، ومن اللحظة الأولى أردت أن أحتويه جيداً. اقترب الولد من شـــيء صغير لين ليس له شكل مميز ومسكه بيده، ثم وجهه نحوي لكي أراه، فكان شـــكل حيـــوان مصنوع من القطيفة، عبارة عن "كُمة للرأس"، وتجول الولد داخل الغرفة ماسكاً بهذه اللعبـــة. وحركاته داخل الغرفة كانت تشبه الحركات الراقصة رغم عدم وجود نغمة أو تناسق.

ومثل كُمة الرأس (beanie) التي كان يمسكها أيضاً ظهر الولد بدون بنـــاء داخلـــي ليتحكم فيه. فشعرت أنني في حاجة إلى محاولة ضبطه نفسياً بشكل مبدئي قبل البدء فـــي أي شيء. وجهته نحو الكراسي ليجلس عليه، فجلس ماسكاً في يده كُمة الرأس، وكان من الواضح أنه لا يستطيع الجلوس لفترة طويلة إلى درجة أنه يبدو وكأنه سيقع وهو يتحرك جالساً، وفـــي نفس الوقت كان يفتح ويضم اللعبة في يديه، وانتهزت فرصة اهتمامه بهذه اللعبة وهو جـــالس وقلت له أن اسمها "Bee bee". ولم يسمح لي أن أمسكها لكنه حملها على يده واقترب كثيراً مني ليُريني إياها، وفي لحظات أخرى كان يضعها بجواره على الكرسي مُنطبقة خوفاً من أن آخذها.

بينما كان الولد يتحرك داخل الغرفة كان يطرح الأسئلة مثل: "كيـــف عرفتـــي أنهـــم يطلقون عليها "كُمة الرأس". هل عرفت أن اللعبة التي في يدي يُطلق عليهـــا "Bee bee" ؟ فهذا اسم أسد جبلي، هل تعرفين ذلك؟ وكيف عرفتي؟ هل عرفتي لأن هناك علامات ســـوداء على وجهه؟ وهل كل أسود الجبل عليها نفس هذه العلامات السوداء؟ كيف تعرفين؟ هل تأتي أسود الجبل من آسيا؟ أسود أخرى تأتي من إفريقيا، أليس كذلك؟ كيف تعرفين؟.

وضعت على الترابيزة بضع من الورق والمواد الفنية، وقبل أن أتمكن من إعطاء أي تفسير أو أقول لماذا نلتقي للعلاج، أخذ الولد عدد من الأقلام وبدأ يرسم، ومازالت اللعبة بـــين ذراعه يطبق عليها، وحتى في أثناء الرسم كان جسمه في حركة كلية مستمرة، يترك كرسيه، ويجلس على مقعدي ثم ينهض مرة أخرى ويقف أمامي أو أمام الترابيزة.

من خلال الرسم اتضح لي أن الولد تقوده الأفكار، فكان ينتقل من صـــورة لأخـــرى بدون حس منظم وبدون اكتمال صورة حتى آخرها، الأقلام كانت متناثرة على ورق الرســـم،

ولم يكن قادراً على تنظيم المكان، فبدأت أنظم وضع الأقلام لأوجد فراغ من خلال يستطيع أن يرى الرسم الذي يُنفذه. فقد ظهر أن تعبيره التصويري يعكس حالة الانقسام الداخلي له. رسم كُمة الرأس بسرعة وبدون تفكير، وظهرت أنها معزولة وليس بينها ترابط، بدون هيكل أو بناء واضح وتبدو وكأنها طفيليات الأميبا وليست كحيوانات، رسمها كما لو أنها قائمة من الحقائق.

تقول Zare Patterson : عندما حان وقت الانتهاء كنت أحث الولد على أن يتوقف عن الرسم، وعلى أنه توجد ساعة حائط داخل الغرفة، إلا أنه لم يُظهر أي قدرة على الإشارة إلى الوقت والانتهاء يبدو صعباً عليه، فلم يستطع التوقف عن الرسم، إنها صعوبة الانتهاء والانفصال التي ظهرت جلياً عند وصوله إلى باب الغرفة ليغادر لكنه هرع عائداً مرة أخرى إلى الأقلام ليضيف علامة ما إلى رسمه. وبعد عدة محاولات استطعت إخراجه من الغرفة، وراقبته يسير بسرعة نحو فصله وفي يده لُعبة Bee bee. شعرت في ذلك الوقت بأن فكري مُنهك ومتوقف قليلاً. بدأت أرتب المواد الفنية في أماكنها مرة أخرى وهو ما كان أمراً صعباً ي أثناء وجوده في الغرفة.

إن الطبيعة الفوضوية (Chaotic nature) لهذه الجلسة الأولى جعلتني بلا تفكير فاحتجت إلى الاسترخاء لأستعيد فكري مرة أخرى بمفردي. فعندما دخل الولد غرفتي، شعرت بتمسكه باللُعبة التي وجدها وأنه لن يتركها أبداً كما لو أن الأمر يبين صعوبة في إعادة توحيده نفسياً حال حدوث انفصال مع شيء ما لديه. وطريقة مسكه اللعبة ذكرتني بصور تبين حركة الجنين داخل الرحم والتواءه وتفاعله وكلامه مع توأمه. بُقيت أفكر في خبرة ميلاد هذا الولد وأول خبرة انفصال له عن توأمه كما ذكرت في البداية. ومن مقابلتي الأولى له ومتابعة حركيته بدأت أكون صورة في ذهني عنه على أنه "ولد كُمة الرأس" beaie. وبدأت أفكر في لعبة Bee bee كشيء مُحير وفيه لغز كما وصفها Tustin (127 : 1992).

فالتفكير مع فريق التدريس له في كون هذه اللعبة تُشتت الذهن، جعلني أتجنب خبرة الإحساس البحث الذي يرتبط بالانفصالية واللاوجود. وبدأت أركز على أنه في المنشآت التعليمية، تؤخذ من الأطفال لعبهم بدون الاهتمام بعالمهم الشعوري وما ينتج عن ذلك تأثيرات في صفتها سلبية. إن فهم أهمية هذه اللعبة بالنسبة للولد كان جانب هام جداً. أيضاً تحتاج أن نفكر في هذه اللعبة على أنها شيء انتقالي (Winnicott 1971)، ومن هنا فكرت فيها على

أنها شيء في هذه المرحلة ممكن أن يعوق النمو وفي نفس الوقت شيء ممكن أن يُقدم المساعدة.

أيضاً ظللت أفكر في الأسئلة التي طرحها الولد على أنها ميكانيزم للدفاع، لقد طرحها علي بدون توقف وإعطائي فرصة للإجابة عليها، لقد شعرت أنه يملأ كل فراغ بأسئلته التي يعرف هو بالفعل الإجابة عليها، كما شعرت أنه يختبر معلوماته مع نفسه من خلال طرح هذه الأسئلة، وفي نفس الوقت اختباري أنا شخصياً بطريقة تؤكد أنه يعرف أنني أعرف إمكانية إجابته هو عليها. لقد عرفت فيما بعد أنه يرفض أن يظهر في موقف أنه لا يعرف أو أنه ولد غبي.

يصف Witkin (1974 : 1-29) أن للطفل عالمين: أحدهما يتمثل في البيئة الموجودة سواء تواجد فيها الطفل أم لا، وهذا العالم الخارجي مليء بالأشياء والحقائق وآخرين من الناس. أما العالم الثاني – العالم الداخلي – يتكون من أحاسيس الطفل ومشاعره ومُدركاته. وهذا العالم موجود لأن الطفل موجود وله فراغ يشغله هو فقط. ومن خلال سلوكيات الطفل وحالة تكيفه يتناسج هذين العالمين مع بعضهما ويصبح الطفل متكاملاً ويبني إحساس بالذات.

بالنسبة للولد وغيره من الأطفال المصابون بحالة ASD الذين يحاولون يائسون جعل عالمهم قابل للفهم والتوقع، فإن تثبيت الحقائق داخل أفكارهم يتيح لهم الإحساس بالأمان والقدرة على التحكم إلى حدٍ ما. لكن من المهم بالنسبة للتربويين أن هؤلاء الأطفال الذين يعرفون معلومات حقيقية لا يكون لديهم بصيرة بالضرورة، أو معرفة أو فهم. فإذا كان وجوده في العالم يعمل على اضطراب كينونته بطريقة تجعله منقسماً وتترجم علاقاته في هذا العالم على أنها محيرة أو حتى أنها بدون معنى، فإنه عندئذٍ يصبح ضعيف التكيف مع غيره ومع البيئة، ولن يُجدي الاحتواء الفكري للعلاقات المنطقية أو الفعلية في تغيير أي شيء إلى حدٍ كبير (Witkin 1974:1).

تقول Zara Patterson : الولد أظهر بشكل واضح هذا الضعف في الارتباط مع المعنى الحسي للذات. فخلال جمعه الحقائق من هنا وهناك، كان الولد يحاول أن يتكيف مع المدرسة والبيئة. بالنظر إلى رسومات الولد من هذا المنظور، أصبحت أدرك مهارته من خلال التكيف، في إقناع نفسه والآخرين التأكد من قدرته. وفي الواقع كانت رسوماته مجرد علامات وقوائم تفتقد للتخيل والفكر الرمزي. وفي أثناء العلاج المستمر بدأ الولد يدرك اهتمامي به على مدى ٤٥ دقيقة هي مدة الجلسة العلاجية الأسبوعية. وكنت على وعي تام أنه

إذا لم أستطع البدء في مساعدته على بناء ميكانيزم للفكـــر develop a mechanism for Thought ، فإنه سوف لا يستطيع قضاء وقت يؤكد فيه لنفسه على ما يملك مـــن معرفـــة. وتجنبت التحاور المحير معه وعدم اقتحام أجندته، بل حاولت بناء علاقة اتصـــال مشـــتركة وذات دلالة معه.

**العام الأول The First Year:**

تقوم Zara Patterson من خبرتي الأولى مع الولد عرفت أنه ينبغي احتوائه داخـــل حدود واضحة بالنسبة لهذا الولد الفوضوي. ورأيت أنه شيء حيوي أن أؤسس بداية محـــددة وواضحة للجلسة وأيضاً نهاية لها بنفس الوضوح. وتحقق ذلك خلال عدة أشهر باســـتخدامي منهج توجيهي (Directive approach). لقد كان الولد يحتاج عوامل تذكرة ثابتة ليبدأ بهـــا لكنه تدريجياً أصبح قادراً على السير العادي والاقتراب من باب الغرفة وإلقاء التحية قبل أخذ الأقلام وبدء الرسم. وعلى الرغم أنه احتاجني لأعد آخر خمس دقائق تنازلياً في الجلسة مـــع شيء من حثه على التوقف عن الرسم، إلا أنه أصبح قادراً على إنهاء الجلســـة ومـــع تحيـــة الوداع يغلق الباب وراؤه. وفي أحيانٍ كثيرة كان يقول لي إلى اللقاء ويترك الغرفة ليعود بعد قليل ويفتح الباب قليلاً ليقول لي مرة ثانية إلى اللقاء ثم يؤكد قائلاً أراكي الأسبوع القادم. وفي الواقع أخذ وقتاً طويلاً كي يتعلم ترتيب وتنظيم المواد الفنية ووضع رسوماته في ملف.

ومع مرور الوقت وازدياد معرفتي بالولد، علمت أن لديه شيء من الإدراك بـــالفرق بينه وبين شقيقيه وجماعة الأقران التي يرتبط بها لكن فهمه لحالة انطوائه على نفســـه كـــان ضعيفاً. وبحضوره جلسات خدمة الانطواء على النفس عرف أنه كان يُعامل بشكل مختلف عن شقيقيه اللذان يحضران في مدارسهما العادية، فكانت أحاسيس الغيرة والغضـــب مـــن ذلـــك واضحة في رسوماته لكنه في ذلك الوقت لم يكن يستطيع توظيف هذه الأحاسيس أو التعبيـــر عنها بصورة محددة. فالولد كان يريد ويؤمن أنه في حاجة لأن يكون الأفضل في كل شـــيء، فأظهر قدراً من التحامل على نفسه والتحمل أمام من هم أحسن حالاً منه، فيطلق عليهم الألقاب ويُشوش على ما يفعلوه. ومع مثل هذا الإحساس المُعظم بالذات، بدأ الولد يعتقد أنه بوجوده مع الناس أكثر انطوائية على نفسه أكثر من نفسه، فربما يصبح واحداً منهم. وفي نفـــس الوقـــت أصبح سلوكه فوضوياً جداً بالنسبة له إلى درجة عدم توافقه مع أقرانه في كثير من الـــدروس المدرسية. فقد كان من الصعب بالنسبة له أن يشعر أنه متوافق في أي مكان وأنه يملك حسية الانتماء.

في العلاج كان الولد يبدو كما لو أنه يرسم قائمة بعد الأخرى من أشكال كُمة الـــرأس لكن تعبيراته بدأت تنمو فعلياً بشكل سريع. وبنهاية العام أصبح يرسمها داخل مشهد طبيعي مع إيحاء بوجود قصة حولها. وأصبح أنها احتمالية كبيرة لبناء داخلي، وكان شكلها يتطور شـــيئاً فشيئاً ودبت فيها الحياة مع البيئة الخارجية الموجودة فيها – أصبح لها انتماءاً ما في مكان ما. كما أن لعبة Bee bee أصبحت جزء في الجلسة العلاجية تلازم يده دوماً بحيث تكون أســـفل ذراعه أثناء الرسم.

طوال العام ظل الولد يُفاجئني بطرح الأسئلة لكني وجدت أنني إذا لم أجـــب عليهـــا، فربما تحدث له حالة ذعر أو هياج مثل رد الفعل المحتمل من جانب الأطفال المصابون بحالة ASD. وعلى النقيض، بعدم الإجابة على الأسئلة، فإنني بذلك أخلق شق في الفراغ، وأسمح لهذا الفراغ بأن يكون كفترة توقف للاستراحة تسمح لي بالتحدث والتعبير عن رأيي في أنـــه يسأل عن شيء ما ويعرف الإجابة أو يسأل عن شيء ما هو حقاً يريد أن يعرفه. وفي بعض الأحيان حاولت أن أكون جادة عندما لا تتوقف أسئلة الولد فأطلب منه التوقف عن الســـؤال. مما ينتج عن ذلك هدوء لم يكن هو يتحمله إلى حدٍ ما في البداية. وبمرور الوقت بـــدأ يـــزداد وقت السكون، وعند ذلك بدأت أشعر أن الولد في طريقه لأن يكون مثالياً في فترات التوقـــف هذه، وشيئاً فشيئاً أصبح قادراً على الاستماع واستقبال المزيد مما أقول.

**العام الثاني The Second year :**

تقول Zara Patterson : في أثناء العام الثاني أصبحت لعبة Bee bee تُحضَر على فترات إلى المدرسة لكن كثيراً ما تحدثنا عنها وكثيراً ما رسمها الولد. وبدلاً منها كان الولـــد يُحضر معه نسخ جديدة منها والتي اختلف الإحساس بالنسبة لها عن معرفته بهـــا أول مـــرة والتي بدت منفصلة عن الولد. وكان يضعها على الترابيزة ويكون سعيداً عندما أحملهـــم لـــه وكان يستمتع بتقليدها من جانبي والتظاهر بجعلها تتحدث تمثيلياً. ولأن الولد استمتع بالاستماع إلى ما تسأله كُمة الرأس له، استطعت توسعة حواراتنا وبحث بعض القضايا على مستوى أكثر عمقاً. هذه طريقة عمل كانت إيجابية جداً، لقد أوجدت منها جانب أكثر مرحاً في عملي معـــه وأدخلت مفهوم التظاهر في حوارنا.

**" كمات الرأس " "beanie"**

لم تكن "كمات الرأس" "Beanie" جميعها مبنية في كل رسم لكن كان الولد يُفضـــل عدد منها، هذا العدد الذي كان يرسمه تكراراً. فقد تطور إحساس قـــوي عـــن "المُصـــاحبة"

Togetherness في رسومات الولد، مع تصويره " كُمات الرأس" على أنها مجموعة مترابطة من الأصدقاء يشاركون بعضهم البعض في كل شيء. وبدلاً من رسم " كُمات الرأس" مُهلهلة ومفككة كما في رسوماته الأولى، أصبحت الآن تظهر في الرسم تسير على أربعة أرجل أو ذات قامة مثل قامة الإنسان. ولم تعد أشكال بلا فائدة، بل أصبحت ذات عمل ونشاط. والصور أصبحت ملونة وفيها حياة، "جزيرة كُمة الرأس" و"منزل كُمة الرأس" يظهران في رسوماته على أنهما مكانين لكثير من التناقضات، فيهما جبال وبراكين وأنهار وغابات وزراعات وشواطئ. لقد جسدت رسومات الولد "كُمات الرأس" وهي تنتقل بين كل أركان الجزيرة هذه، وأعطاها الولد الفِكر والأفكار، أعطاها الاستراتيجيات لحل المشكلات. فعلى سبيل المثال، في بعض الأحيان جسد الولد كُمات الرأس في رحلات طويلة مع شكل فيل يمثل المركبة لها في رحلتها الطويلة. إن إحساس الرفقة الطيبة والصداقة الذي نراه في رسومات الولد، يمثل انعكاس للعلاقة العلاجية أيضاً. فقد أصبحت الجلسات العلاجية له ذات أهمية بالنسبة له. وكنت أُعِد نفسي لمشاركة "كُمات الرأس" رحلتها وقصتها، بينما في نفس الوقت كان الولد يطلب مني الاحتفاظ "بكُمات الرأس" في حقيبته إن أحضرها معه إلى المدرسة.

لقد شعرت أن هناك إحساس بانفراجة نفسية يعيشها الولد عندما يأخذ الإذن بإخراج "كُمة الرأس" بحريته من حقيبته المدرسية ويحضرها معه إلى غرفتي. طوال هذا العام تطور لدى الولد الإحساس بالفكاهة وبدأ يفهم معنى المِزاح. بعد سألني أحد أسئلته للاختبار، نظر إلى وجهي نظرة عميقة ومع ابتسامة على وجهه قال لي: "أنا لست في حاجة لأن أسأل هذا السؤال، أليس كذلك؟ فقد عرف أن هذا السؤال سوف لإيجاب عنه أيضاً، ونظر إلى تعبيرات وجهي، ومن هنا بدأت الفكاهة بيننا.

**الانتقال إلى المدرسة الثانوية Transition to secondary School:**

تقول Zara Patterson : في نهاية السنة السادسة في المرحلة الابتدائية ينتقل الطلاب إلى المرحلة الثانوية. في مكتب خدمة الانطواء النفسي، يبدأ الطلاب برنامج زيارات الانتقال لكي يصبحوا في نهاية فصل الصيف الدراسي على أتم استعداد قدر الإمكان للتغير الدائم – المتمثل في المرحلة الثانوية في سبتمبر. كان الولد سعيد جداً وفي حالة إثارة قوية كونه ينتقل إلى مدرسة كبيرة وفسيحة وخدمة الانطواء على النفس بها. عندئذٍ ناقشت معه استمرارية العلاج فعرفت منه أنني سأستمر معه.

كنت ألتقيه مرة واحدة أسبوعياً على مدى عامين دراسيين في هذه المرحلة. وعلى الرغم أن رسوماته مازالت فيها "كُمات الرأس"، إلا أنه كان يستخدم قصصها أكثر وأكثر في

توظيف فكره وصنع معنى حسي لعالمه. وشعرت أن طبقة من طبقاته الدفاعية قد أُزيلت وللمرة الأولى كان هناك إحساس لديه بقدرته على توقير ذاته. ومن هنا بدأ يتقبل عدم المعرفة، وأدهشني كثرة أسئلته عن معاني كلمات يريد استخدامها، عندئذٍ أدركت كم هو في حاجة ملحة إلى مزيد من المعرفة عن وجوده وذاته مما يتحقق معه مزيد من هذه السلوكيات الإيجابية. ومع زيادة قدرته على أن يكون أميناً وصادقاً حول عدم معرفته، أصبح أيضاً أكثر قدرة على التعبير عن أحاسيس يراها أنها نقاط ضعف فيه. قد أعرب عن قلقه من التغيرات التي يمر بها في إحدى جلسات شهر أبريل العلاجية عندما رسم كُمات الرأس فيما يصفه على أنه مطعم اسمه "جولي بوورJolly Boar "، وهو المكان – من وجهة نظره – الذي يمكن لكُمات الرأس أن تحصل منه على طعام لذيذ ومشروب جيد، وصور نفسه على أنه يقدم لهم الطعام والشراب. لقد لاحظت أنه يشعر بإحساس دافئ يستريح له (انظر شكل ١)

شكل (١)

هذا المطعم يجسد مكان احتضان مريح، أيضاً يمثل المكان الذي منه تتحرك عندما يكون مستعداً. "كُمات الرأس" المستترة داخل عباءات قادرة على الظهور في صورة "متنكرة". وهو تجسيد أظهره الولد في رسوماته جعلني أفكر في العلاقات الغامضة لهذا الولد مع ماضيه ومستقبله.

على الرغم أن الولد أدخل تجسيداً له في صورتين سابقتين، إلا أن تجسيد نفسه على أنه بارمان في مطعم في هذه الصورة، من الواضح أن له دلالة عميقة. فالبارمان هو شخص له دور محدد في عمله والذي فيه يكون مُقدم الخدمة للآخرين والمعاونة لهم. والولد له

شخصية كريمة، وتقديم الطعام والشراب في الصورة تعبير مناسب جداً لشخصيته. وبينما كان يرسم هذه الصورة كان يشعر أنه سعيد ومسرور وترى في عينيه إحساس بالفخر.

ذات مرة رسم نفس هذا المطعم، وتحدث الولد عن المكان الذي فيه أعـداد "كُمـات الرأس" يأكلون ويشربون، وهنا الطعام والشراب يمثلان أشياء مخيفة، في الحقيقة أشياء سامة، فوصف الولد تلفيقات مرعبة وتغير مزاجه النفسي، فأصبح في حالة إثارة عالية، يتحرك داخل الغرفة ويقهقه بضحكات سريعة متقطعة، وظل يأتي ويرسم المزيد ثم يبتعد، فشعرت بإحساسه بالخوف والقلق في سلوكه هذا. تحدثت معه عن الأحاسيس المختلطة عن الإثارة التي يشوبها العصبية والناتجة عن انتقاله إلى مدرسة ومرحلة جديدتين. فبـدأ يتحـدث عـن الواجبـات المدرسية التي كانت تُطلب منه وحديثه عنها يدل على الشكوى منها، لكنه يقول أنها الآن سهلة جداً. وقال أنه يعرف كل شيء تعلمه في المدرسة الابتدائية. فشعرت أنه بإمكان هـذا الولـد التوافق مع التغير المرحلي الحادث يجعل سنواته الابتدائية أشياء سيئة، أو غير جيدة.

في أثناء الأسابيع الأخيرة قبل أجازة الصيف، فصل الولد بين "كُمات الرأس" والعـالم الداخلي المريح والمألوف في مطعم "جولي بوور"، ورسمهم جميعاً على أنهم ينطلقـون إلـى الفضاء، وصور عدد من كُمات الرأس داخل سفينة فضاء.

إن تجسيد الداخل والخارج أصبح يمثل موضوع في رسومات الولد. فإذا رسم صورة داخلية فإنه يرسم خارج لها في مكان ما في الصفحة في شكل صورة بسيطة.

تقول Zara Patterson تحدثت معه عن ما الذي يمكن أن تراه "كُمات الرأس" عندما تنظر إلى الخارج من خلال النافذة وهي تغادر جزيرة "كُمة الرأس"، بالإضافة إلى ما يمكن أن تراه أمامها في أثناء رحيلها إلى الفضاء. استطاع الولد أن يعترف أنه شعر كما لو أنه يطيـر إلى مكان غير معلوم ومجهول بالنسبة له. للحظة واحدة أحسست في عيناه أنه تاه في الفضاء. لم يجرؤ أن يفكر مرة أخرى في سنواته الابتدائية وذلك بسبب اعتقاده الخاطئ بأنه إذا تـذكر كيف كان هو في هذه السنوات، فإنه ربما يصبح ولد صغير مرة أخرى وليس له صورة عن ذاته في المستقبل.

**المدرسة الثانوية Secondary School :**

تقول Zara Patterson : في المرة الأولى التي رأيت فيها الولد في مدرسته الثانوية الجديدة عندما وُجهت لي الدعوة للحضور إلى المدرسة لتحديد مواعيد جلساتي مع الطـــلاب. وعندما رآني هرع إلى وسألني متى سيلقاني، ظهر الولد أمامي أكبر سناً خاصةً وهو يرتدي زي المدرسة الثانوية ذو اللون الداكن. وأصبحت هويته المدرسية الجديدة موضوع رســوماته على مدى نصف فصل دراسي.

مع ترك كُمات الرأس في الفضاء في آخر جلسة لي معه قبل الأجازة الصيفية، رأيتها هبطت على الأرض في جلسة في المرحلة الثانوية، وسعدت كثيراً عندما قال لي أنها الآن في مدرسة جديدة. وبسرعة أمكنني المشاركة معه في قصة كُمات الرأس وعمل ارتباطيات مــع الحياة الخاصة للولد. وظهر أنه أكثر انفتاحاً للاستماع ويستمتع بالمقارنة بين ما كانت عليــه كُمات الرأس وما هي عليه الآن وبما أن أراه فيه الآن. رسم الولد نفس شخصــيات كُمــات الرأس لكنها ترتدي أردية وملابس يراها الولد تشبه تلك التي يرتديها الأطفال الذين يحضرون إلى "هوجوارتس Hogwarts" في قصة "هاري بوتر Harry Potter". تحدثت معــه عــن الألوان المختلفة وكيف أن كل لون يمثل منزل مختلف في قصة "هاري بوتر". فقد كان الولــد سعيداً أن يراه الناس وهو يرتدي زي المدرسة الثانوية.

بعد عدة أسابيع من رسم كُمات الرأس في ملابسها الجديدة وفي مدرســتها الجديــدة، أصبح الولد أكثر اضطراباً، فقد رسم هذه الشخصيات التعبيرية بدون أي سياق. كُمــات رأس مفردة رسمها على ورقا كبيرة الحجم وتبدو منعزلة ووحيدة، فعالم الولد الذي بدأ إيجابياً يبدو أنه ينهار. فقد عايش خبرة "فترة شهر العسل" والآن أصبح يعيش خبرة واقع وضعه الجديد.

لقد عايشت خبرات طلاب كثيرون لهم رد فعل مشابه للانتقال من المرحلة الابتدائيــة إلى المرحلة الثانوية. فهناك رغبة لديهم ترك الماضي خلفهم، لكن يصاحبهم اعتقاد بأن حالــة ASD المصابون بها ستذهب مع الماضي أيضاً، وهذا اعتقاد خاطئ وغير واقعــي. فعنــدما يدركون ذلك في الواقع فإن حياتهم المدرسية ربما تصبح أكثر صعوبة ويعيشون فترة أزمــة. ويصبح سلوك الانعزال واضحاً مع بعض الطلاب الذين تشغلهم سلوكيات التغيــر، وطــلاب

آخرون يصبحون مكتئبون ومنسحبون وآخرين يتصفون بالعدوانية والجمود أو فوضـــويون، مثل الولد.

تقول Zara Patterson : لقد كان ظاهراً انحسار الولد في جلسات العلاج بالفن، لـــم يكن قادراً على الجلوس طويلاً فكان يتكيء بجسمه كل على منضدة الرسم. فقد كان يحتاج أن يكون قريباً مني قدر الإمكان، وفي بعض الأحيان كان يرغب في الجلوس علـــى رجلـــي أو الارتماء في حضني. لقد بدأ القلق واللأمان له ظاهرين في الظهور مرة أخرى لحاجته لطرح الأسئلة التي يعرف الإجابة عليها، فجأة تعلق بوجوده مرة أخرى.

كانت أجازة أعياد الميلاد سبب في شيء من التغير بالنسبة للولد وعاد بعدها في حالة أقل فوضوية. في إحدى الجلسات ناقشته بشكل مفتوح وأكثر عمقاً عن قدرتـــه علـــى تـــذكر ماضيه والتفكير فيما كان فيه بدون أن يعود ذلك الطفل مرة أخرى.

يعود ذلك الطفل مرة أخرى. رسم الولد كُمات الرأس نائمة في منامة لكـــل واحـــدة. وزارهم بابا نويل في عيد الميلاد وأعطاهم هدية على فراش كل واحدة في داخل غرفة كبيرة ينامون فيها كان هناك جرس منبه لتوقع هجوم عليهم من أعدائهم، لكن باب الغرفة كان مغلق بإحكام. إحدى كُمات الرأس كانت تحلم بمطعم "جولي بوو" شكل (٢)

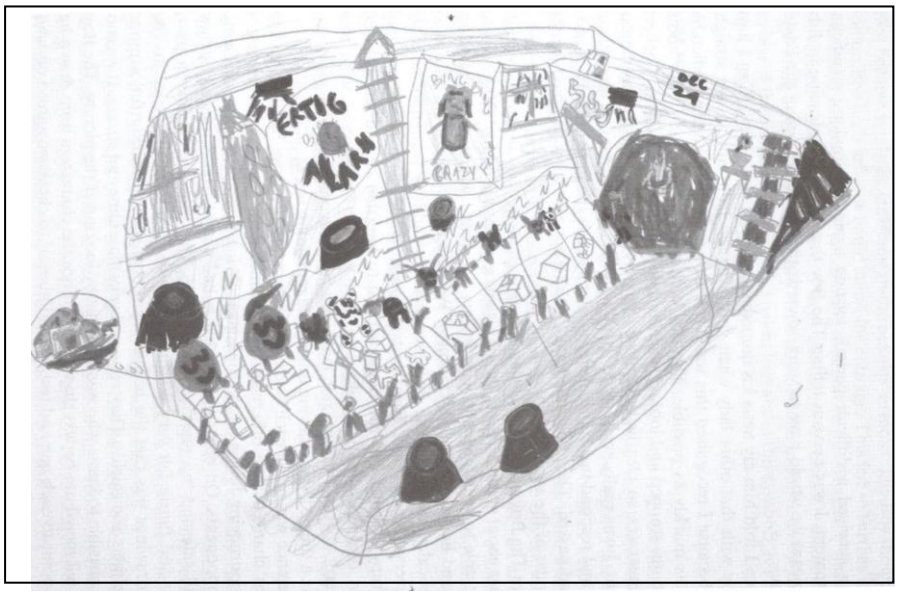

شكل (٢)

فكرت كثيراً في تلك الغرفة الكبيرة المحكمة الغلق والتي تشـــبه رحـــم الأم والمليئـــة بكُمات الرأس نائمات، ورأيت أنها رغبة من الولد في أن يُعالج ويُعامل في مكان آمن. هـــذا

الرسم هو أول الدلالات على تقدير الولد لحالة اللاشعور لديه. فلم يتحدث الولد من قبل عن أحلامه أو أعطى أية إشارة عن عالم الأحلام. هذا الرسم جعلنا نفكر في فكرة الحلم، ويذكر الولد تأكيداً على الفرق بين الحلم وعالم الواقع. أحسست بأنه أصبح يعرف أن بإمكانه أن يحلم وأنه سوف لا يعيش شخصيات أحلامه أو يصبح ذلك الشخص الذي يراه في الحلم.

منذ ذلك الوقت رأيت نمواً حقيقياً في قدرة الولد على البقاء داخل حالة فكرية ما وتفكيره في شيئاً ما قاله قبل ذلك. وبدأ يتكون لديه فكر بحثي وعقل يبحث عن مزيد من الإيضاح. ووجدت أنه بإمكاني الخوض في حوار صادق وصريح معه لإمكانية توظيف الأفكار وحلها. استطعت أن أتحدث معه عن خبرتي الأولى عنه وما هي خبرتي عنه الآن. فبدأ الولد أكثر فكراً وبصيرة، يطرح الاحتماليات حول أحاسيسه وسلوكياته وأصبح مُحب للإطلاع.

ويريد سماع الآراء الأخرى عنه. أيضاً تطورت تعبيريته التصويرية وتكامله إلى حدٍ ما، ورسومات "كُمات الرأس" أعيدت إليها الحركة مرة أخرى وظهرت مرة ثانية تتحرك بين داخل وخارج قلعتها أو جزيرتها. أخذت تأخذ أشكال من العصور الوسطى – أشكال الفرسان في تلك العصور، وكل كُمة رأس أخذت رُمح ودرع واقية. ص١٣٦ وبعضها أخذت رتبة اجتماعية وأظهر في رسوماته شكل للأرنب Teddy كقائد لهم يرتدي تاج الملك على رأسه.

**الانتهاء** Ending :

تقول Zara Patterson بعد أن مر بفترة صعبة، عاد الولد واستقر مرة أخرى وأظهر نمواً واضحاً، وقلت له وأنا غاضبة أنني ربما أرحل في شهر يوليو، وهذا معناه أنه ينبغي العمل معاً فى إنهاء جلساتنا في الأجازة المدرسية التالية. عندما أخبرته ذلك، كان رد فعله الفوري أن سألني قائلاً: هل يمكنني تلقي العلاج مع تلك المعالجة التي ستحل مكانك؟" فلم أجب على هذا السؤال بطريقة فورية ومباشرة لأنني أدركت أن الولد في حاجة إلى جعل حياته متوقعة مرة أخرى بشكل سريع قدر الإمكان. استمر الولد في الرسم وبعد حوالي ربع ساعة توقف عن الرسم ونظر إلى وجهتي وقال: "سوف أفتقدك يا Zara". إنني أؤمن أن هذا يشرح بشكل واضح جداً استجابة القلق الانطوائية أمام فَكر له دلالة. فأدركت يقيناً أن الولد أظهر قدرة على التفكير والاستجابة بصورة أكثر دلالة حال ذهاب إحساسه بالقلق.

ذات مرة مع تمكنه من إدراك فكره الحقيقي، استطعنا التفكير معاً حول عملية انتهاء العلاج. فعبر عن قلقه من أن ينساني بعد انتهاء العلاج. اتفقنا على التقاط عدة صورة فوتوغرافية لنا كحل عملي لمسألة النسيان لكننا ناقشنا الذاكرة أيضاً وكيف أن الإنسان لا يستطيع أن يُخزن في عقله كل شيء على مدار حياته. وتحدثنا عن ذكريات العلاج له ودلل هذا الحديث على أنه يتذكر قدر كبير جداً من تفاصيل مراحل علاجه والأكثر أهمية أنه تذكر ما هو كان مهماً بالنسبة له. ولم يكن من المدهش أن موضوع "من هو" أصبح هو موضوع رسوماته في الأسابيع الأخيرة في العلاج.

كنت أخبره كل أسبوع بموعد انتهاء جلساتنا معاً لكن الجلسات حدث بها شيء من التغير، حيث بدأ يرسم كُمات الرأس تغادر مكانها وتذهب إلى أرض معركة تستعد لخوض معركة في مواجهة أعدائها. في بعض الرسومات أظهر أن تلك المعركة حدثت بالفعل لكن كُمات الرأس كلها كانت في أمان ولم يُقتل منها واحدة.

هذا التحرك بين الماضي والحاضر والمستقبل، وضح أنه تحرك إيجابي وانسيابي. الفرق الرئيسي في رسوماته هو أن "كُمات الرأس" في الرسومات الأخيرة ظهرت ترتدي ملابس حرب كاملة بما فيها خوذة الرأس، وأظهرها قوية وذات عضلات واضحة. ولم يعد ممكناً أن نعرف "من كان من" من مجرد النظر إلى الصورة فقط، فأصبحت كل صورة تشير إلى نفسها. وأشار إلى اختباري واختبار نفسه في مراجعة كل صورة ومن وراء الملابس الحربية. ولكي نخفف من حدة أحاسيس قلقي حول عدم تذكر "من كان من" في الصورة، وجدت نفسي أشير إلى أنه في حياة الواقع هناك الكثير من الجوانب في كل شخص تستخدمها لتساعدنا في معرفته وتذكره. وحدثته عن كيف أنني أذكره لشخصيته الصدوقة وللأشياء التي قالها وفعلها بالإضافة إلى كيف كان مظهره أمام عيني. في الصور التي رسمها بعد هذا الحوار، بدأ الولد رسم ما أصبح شعارات رمزية على دروع كُمات الرأس، مثلاً، شكل الأسد يرمز إلى الشجاعة. وأدى ذلك إلى مزيد من المناقشات عن رموز أخرى تُجسد أشياء مختلفة. تناقشنا بشكل فكاهي عن ماهية الملابس الممكن أن نرتديها في مناسبات مختلفة اعتماداً على ما نشعر به. هذه الفكرة أعجبته وأدخلنا رمز جديد على إحدى الشخصيات المجسدة والتي عرفها بـ "Y" الحمراء. سألته عن هذا الرمز، فقال أنه يرمز إلى الأيام التي أحتاج فيها إلى طرح كثير من الأسئلة.

**الجلسة الأخيرة Last Session :**

تقول Zara Patterson في آخر جلسة له بدأها بقوله أن كُمات الرأس هي الآن في معركة، لكن عندما بدأ الرسم ظهرت كُمات الرأس، رغم ارتدائها الدروع الحربية، كما لو أنها تصطف لتأخذ صورة فوتوغرافية جماعية بدلاً من خوض القتال. ورغم أنه أكد على وجود كل كُمات الرأس في الرسم، إلا أن بعضها ظهر في الخلفية في شكل عصايات. أما الأخرى ظاهرة ولكل منها رمز. وفجأة أثناء الرسم، صاح الولد قائلاً: "إلى اللقاء يا Zara!"، ورأيت أنها حالة ثورة انفعالية تعبر عن غضبه وعدم سعادته. فصدمني هذا في البداية، ثم تركني أشعر بحزن عميق، وبعد ثورته الانفعالية هذه، رسم الولد مشهد من الطبيعة تتحرك داخله كُمات الرأس. رسم الغابة أولاً، وتحدثت وهو يرسم كالآتي:-

الولد: إنها تخرج من الغابة.

Zara : حسناً، ماذا أمامهم الآن؟

الولد: من يعرف، فأي شيء ممكن أن يكون أمامهم، هم لا يستطيعون أن يعرفوا.

Zara : إنك على حق، أحياناً لا نستطيع أن نعرف، فهل تعتقد أنهم جميعاً على صواب هكذا؟

الولد: نعم سيفوزون في كل معاركهم، لأنهم على صواب هكذا.

لقد شاهدت تفاؤل الولد في رسمه لنار مشتعلة، فعلى الرغم أننا نرى في الرسم الأمطار تهطل على النار المشتعلة، إلا أنها لم تنطفيء، ويقول الولد إن ذلك شيء غير عادي أن تظل النار مشتعلة مع هطول الأمطار عليها، أليس كذلك؟ إنني أرى أن الأمطار تعطيني دفعة إيجابية. ومن كلامه هذا أحسست بقوة داخلية نمت داخله.

مع تبقي عشرة دقائق على انتهاء الجلسة الأخيرة، رسم الولد سحلية تتحدث إلى كُمات الرأس. السحلية تحييهم وتقول أقدم لكم صديقي Teddy، ملك جزيرة كُمات الرأس. أنتم سافرتم بعيداً وهناك انتهت المعركة. وفقاعة كلامية داخلها يقول لا توجد أسئلة أخرى لطرحها، إذاً، إلى اللقاء.

من هذا الكلام رأيت أنه يشبهني بالسحلية، في صورة سؤال طرحه سريعاً. فأكدت له إنه إذا اختفت السحالي، فإنها حتماً مازالت موجودة. وأكدت عليه أنني سأظل موجودة حتى إذا

لم يراني في الواقع، فسألني ما الذي سوف أفعله. تحدثنا عن حضوري يوماً ومقابلته في المدرسة. وهذا حفزنا على مناقشة كيف يتعرف الفرد على الآخر في المستقبل بعد غياب طويل. فقال الولد ستظل وجوهنا كما هي حتى وإن تغيرت ملابسنا.

رسم الولد سفينة فضاء صغيرة وخضراء اللون لكي تنطلق السحلية بها. وكتب رقم ١٣٢، فسألته عن هذا الرقم فأجاب قائلاً إنه رقم صفحات الكتاب، فأدركت أنه رقم جلساتنا معاً طوال تلك الفترة الطويلة والتي اعتقد هو أنني سأسُجلها في كتاب. وكتب الولد هذه الكلمات الأخيرة له على الرسم قائلاً: "وهكذا يكون الفصل الأخير في كتابنا قد وصل إلى جملته الأخيرة في صفحته الأخيرة. إلى اللقاء".

## خاتمة

كتبت Zara Patterson : عند العمل مع الطلاب المصابون بحالة ASD لا يصح لنا أن نمر بحالة تلبك وفشل فكري وحركي. فعندما عملت مع هذا الولد تولدت مثل هذه الأحاسيس في أوقات معينة فجعلتني عاجزة عن التفكير والتحدث، مما أدى إلى إحساس باليأس والإحباط، ومع قوة وتكرار بعض الموضوعات شعرت أنها أحاسيس قد تستمر لأسابيع كثيرة أكثر مما توقعته. إن رسم قوائم كُمات الرأس في البداية كان مثالاً على هذا الشلل الفكري. في الواقع هذا التعبير التصويري الدفاعي ظل لفترة قصيرة. ومع بدء قدرة الولد على تحرير بعض من التوتر الذي ينتابه، فبدأ الفكر يثبت في عقله وأصبح النمو ممكناً. وتطورت رسوماته إلى صور ملونة تحكي قصة وتشرح كيف أنه خاطر بالبحث في بعض الأفكار والأحاسيس السابقة التي لا يتحملها.

على الرغم أنه سوف تظل هناك أوقات صعبة، إلا أن الولد الآن قادراً على أن يكون صادقاً مع نفسه ومع الآخرين. ولم يُعد يشعر أنه ينبغي أن يعرف كل شيء طوال الوقت لكن بدأ يسمح لنفسه الاعتراف بعدم المعرفة في مناسبات كثيرة وبإمكانه التعبير عن فضوله وحبه للإطلاع، إنه الآن يملك فرصة حقيقية لتعلم حقيقي.

## Conclusion:

Zara Patterson Writes : When working with students with ASD it is not unusual to feel paralysed and in a state of autistic stuckness. Working with The Boy, at times, generated such feelings, rendering me unable to think and speak. I felt despir and frustration and, by the power and repetition of some themes, was made to feel they had continued for many more weeks than they actually did. The drawing of beanie lists at the start was an example of this paralysis. In reality this defensive imagery was very short lived. As The Boy began to be able to let go of some of his anxiety, thoughts rather than ideas started to be held in mind and development became possible. His drawings developed into colourful pictures that told a stody and illustrated how he risked exploring some previously intolerable thoughts and feelings.

Although there will still be difficult times. The Boy is now more able to be honest with himself and others. He no longer geels he should be all-knowing all of the time but can allow himself to admit to not knowing on occasions and can express genuine curiosity. He has the opportunity now to truly learn.

## References:


Alvarez, A. (1992) *Live Company: Psychoanalytic Psychotherapy with Autistic, Borderline, Deprived and Abused Children*. London. Routledge.

Tustin, F. (1992) *Autistic State in Children* (revised edn). London: Routledge.

Witkin, R.W. (1974) *The Intelligence of Feeling*. London: Heinemann Educational Books.

Winnicott, D.W. (1971) *Playing and Reality*. London: Tavistock.